التيّار الإسلامي في مصر والحركة الطلاّبية

عبد الرحيم علي

بدايات الإسلام السياسي

لا يُمْكننا في دراسة قصيرة أن نَرْصدَ أو نحلِّلَ مجملَ مشاركة الشباب المصري في حركة التيار الإسلامي المصري منذ بداية الأربعينيات من القرن الماضي، عندما أنشأ حسن البنّا (مؤسِّسُ جماعة الإخوان المسلمين) الأُسَرَ الطلاّبيةَ داخل الجامعة. ولكنّنا سنتعرّض إلى البدايات الحديثة لتوغُّلِ هذا التيّار بشكل غَيَّرَ مجرى تاريخ الحركة الطلابية في فترةٍ من أشدّ فترات توهُّجها ـ وأعني أواخرَ الستينيات وبدايةَ السبعينيات ـ لنبيِّن أنّ اندفاع الشباب إلى التيار الإسلامي لم يتمّ بصورة طبيعية، بل تمّ صنعُه إلى حدّ كبير.

بدايةً لا يُمْكن الفصلُ بين هذه القضية وبين المناخ العامّ الذي سبق تلك السنوات: فقد أحدثتْ هزيمةُ ٦٧ شروخًا نفسيةً، خاصةً لدى جيل الشباب الذي أخذ يَشْعر بأنّ البعدَ عن الله وانطفاءَ جذوة الإيمان كانا سببًا رئيسيّاً للهزيمة؛ حتى إنّ مجموعةً من الشباب ممن كانوا يساريين أو ماركسيين أو ناصريين شرعوا هم أنفسُهم في التحوُّل إلى ساحة الأفكار الدينية. وفي هذا التوقيت بدأ تشكيلُ أُولى خلايا «تنظيم الفنية العسكرية» عامَ ١٩٦٧ ـ وهذا عكسُ ما عُرِفَ عن هذا التنظيم من أنّ تشكيلَه بدأ عامَ ٧٣. يقول حسن الهلاوي، أحدُ أعضائه، في هذا الصدد: «كنتُ وقتَها في السابعة عشرة طالبًا في مدرسة السعيدية الثانوية. وكان يزاملني فيها كارم الأناضولي وسعد دربالة. وكنّا ندعو الناسَ للتمسك بالدِّين بصفة عامة، وللجهاد ضد الاحتلال الإسرائيلي وإقامةِ الدولة الإسلامية بعد طرد اليهود من فلسطين »

الكعكة الحجرية

وتجيء السبعينياتُ ويَضْرب الساداتُ ضربتَه لمعارضيه داخل السلطة ـ وهو ما سُمِّي بقضية «مراكز القوى.» وتثور ثائرةُ الطلاّب اليساريين والناصريين داخل الجامعات لإحساسهم بأنّ السادات يُجَهِّز الأرضيةَ للانقلاب على كلّ منجزات عبد الناصر. ويَرْفع الطلاّبُ شعارَ «إنهاء حالة اللاحرب واللاسِلْم،» ويتوحَّدون خلفَه. ثم يأتي اعتصامُ ميدان التحرير الذي شاركتْ فيه مجموعةٌ كبيرةٌ من الطلاّب الشيوعيين والناصريين واليساريين، إضافةً إلى مجموعةٍ أخرى من الشعراء والكتّاب والمثقفين. واستمرّ الاعتصامُ ٢٤ ساعة تقريبًا، احتلّت فيه المجاميعُ الميدانَ بصورةٍ أَوْحت إلى وكالات الأنباء العالمية بأنّ نظام حكم السادات في خطر؛ الأمرُ الذي دَفَعَ بأجهزة الأمن إلى اقتحامِ الميدان وتفريقِ المعتصمين وإنهاءِ الأزمة.

منذ ذلك اليوم شَعَرَ السادات بأنّ المصدر الرئيسي للخطر على نظام حكمه هو اليساريون والشيوعيون والناصريون ـ خاصةً الطلاّبُ منهم لأنّهم يسيطرون على الجامعات عن طريق الاتحادات الطلاّبية. ومن هنا فكّر في إنشاء تيّار ديني وسط طلاّب الجامعات تكون مهمَّتَه ضربُ التيار اليساري. وعلى الرغم من أهمية دور السادات في تشكيل هذا التيّار، إلاّ أنّ ظروفًا وأسبابًا كثيرةً ساعدت على نموّه ووصوله إلى الحجم والتأثير اللذيْن وصل إليهما في نهاية السبعينيات. ولعلّ أهمّ تلك الظروف أو الأسباب تَكْمن في الآتي:

أولاً: الطفولةُ اليساريةُ التي كانت تميِّز بعضَ قيادات العمل الطلاّبي في ذلك الحين، بدايات السبعينيات.

ثانيًا: رفعُ شعار «إنهاء حالة اللاحرب واللاسلم» من قِبل الحركة الطلابية اليسارية من دون أية شعارات تتماشى والمطالبَ الاجتماعيةَ والسياسيةَ للجماهير. حتى إذا أَقْدَمَ الساداتُ على حرب أكتوبر، سَحَبَ البساطَ من تحت أقدام الطلاب اليساريين.

ثالثًا. ظهورُ أكثر من تنظيم يساري سرّي في تلك الفترة، وتبادُلُ الاتهامات التي تبدأ بـ «عدم وجود رؤية ثاقبة وعلمية للواقع» وانتهاءً بـ «العمالة والمباحثية.» وكلّ ذلك أَضْعَفَ كثيرًا أداءَ الحركة الطلابية اليسارية آنذاك

رابعًا: «الترفُّعُ» عن طرح المطالب البسيطة للطلاّب ضمن برنامج الحركة الطلابية اليسارية. وهذا ما نجحت الجماعاتُ المسمّاة بـ «الإسلامية» في تحقيقه والتماشي معه: كطبع المذكّرات الدراسية، وتوفيرِ وسائل المواصلات والملابس، والاهتمامِ بالوجبات في

السادات قال: «العيال الناصريين والشيوعيين حيتعبوني. أنا عايز نربّي شباب مسلم يصبحوا ركيزتنا في الجامعة!»

مطاعم الجامعة، ومساعدةِ الطلاّب الفقراء.. إلخ. والحقّ أنّ هذه الاحتياجات البسيطة هي التي رَبَطت الطلابَ بقادة تلك الجماعات.

ونأتي إلى دور السادات في إنشاء الجماعات الدينية، وهو ما يُوضحه د. محمود جامع لمجلة **المجلّة** اللندنية. فقد دعاه السادات إلى لقاءٍ منفردٍ في منزله عقبَ التخلُّص من مجموعة ١٥ مايو، وأَسَرَّ له بعدم ارتياحه إلى تنامي التيّارَيْن الناصري والشيوعي في الجامعات. وقال له ما نصُّه: «يا محمود، العيال الناصريين والشيوعيين هايتْعبوني في الجامعة،» مضيفًا. «أنا عايز نربّي شباب مسلم ونصْرف عليهم ويصبحوا ركيزتنا في الجامعة.»

ويمضي د. محمود جامع قائلاً: «وبالفعل أَوْكل السادات إليّ مع محمد عثمان إسماعيل تلك المهمةَ بعد أن خصَّصَ مبالغَ معيّنةً للإنفاق عليها، على أن أتولّى مهمةَ جامعات الوجه البحري، ويتولّى عثمان إسماعيل مهمةَ الوجه القبلي انطلاقًا من أسيوط التي كان محافظًا لها ومعروفًا بعلاقاته القوية والمتميّزة في أوساط شبابها.» وأَعطى السادات لمحمد عثمان إسماعيل صلاحياتٍ مطلقةً لتنفيذ هدفين: الأول: خلقُ تيارٍ إسلامي يوازي الاتجاهَ اليساري في المجتمع ككلّ. والثاني: أن يكون هذا الشبابُ أداةً لضرب الطلبة الناصريين والشيوعيين داخل الجامعات.

يقول اللواء حسن أبو باشا، وزيرُ الداخلية الأسبق، في مَحْضرِ نقاشٍ أجريناه معه: «بالفعل بدأتْ أمانةُ تنظيم الاتحاد الاشتراكي، بقيادة محمد عثمان إسماعيل، في إنشاء ودعم تلك الجماعات التي بدأ تشكيلُها في الكليّات الجامعية المختلفة باستخدام جميع الإمكانات والأساليب، حتى وصل الأمرُ إلى حدّ دفعها إلى الصدام مع العناصر الماركسية لدى أيّ مناسبة يتاح لها فيها أن تختلق مثلَ هذا الصدام.»

ويضيف حسن أبو باشا أنّ واحدًا من تلك القيادات في أمانة التنظيم اتّصل ذاتَ يوم تليفونيّاً بمدير مباحث أمن الدولة المرحوم اللواء سيِّد فهمي، وطَلَبَ منه المساعدةَ في تدبير أكبرِ عددٍ من سيّارات الإسعاف لتكون جاهزةً للتحرُّك السريع إلى جامعة القاهرة. وكانت الإخطاراتُ قد أشارت إلى أنّ ثمةَ تجمُّعاتٍ طلابيةً في هذه الجامعة في صورة مظاهرات داخل الحرم الجامعي. وعندما استفسر مديرُ الجهاز من تلك القيادة عن السبب في طلب إعداد هذا العدد الكبير من سيّارات الإسعاف، كانت الإجابةُ أنّها ستَنْقل الجرحى من الشيوعيين الذين ستسيل دماؤهم (على حد قوله) بعد أن يتصدّى لهم أعضاءُ الجماعات الإسلامية!!

تنظيمان سرّيان

وبينما كانت أمانةُ تنظيم الاتحاد الاشتراكي منشغلةً بدعم تيّار الجماعة الإسلامية داخل الجامعات؛

وفي الوقت الذي راحت فيه أولُ دفعةٍ من دفعات الجماعات الإسلامية تتلمّس طريقَها وسطَ الطلاب عن طريق المخيّم الطلاّبي الأول الذي أقيم في جامعة القاهرة، وتحمَّلتْ تكلفتَه بالكامل أمانةُ التنظيم المذكور، وحَضَرَه من قادة الجماعة كلٌّ من: عبدالمنعم أبوالفتوح وعصام العريان من القاهرة، وإبراهيم الزعفراني وخالد داود من الإسكندرية، وخيرت الشاطر من المنصورة، ومحيي الدين أحمد عيسى وأسامة حافظ وكرم زهدي من المنيا، وصلاح هاشم من سوهاج، وعلي عبدالحكيم وحسن يوسف وعبدالمتعال عبدالواحد من أسيوط ـ وكان هؤلاء هم «أول قطفة» لما سمِّي بالجماعة الإسلامية بالصعيد؛

وبينما راح عددٌ كبير من المشايخ الذين حَضَروا المخيَّم الأولَ للطلاّب يجوبون الجامعاتِ ملتحمين بطلاّب الجماعة الإسلامية التي أُعلن عنها في المخيم، وكانوا مشايخَ من جميع الاتجاهات: فمن السلفيين كان الشيخ نصر الدين الألباني، ومن الأزهر الشيخ أسامة عبدالعظيم، ومن «التبليغ» الشيخ إبراهيم عزت، ومن العلماء الشعراوي والقرضاوي والغزالي، ومن الإخوان عمر التلمساني وعبدالحميد كشك، إلى جانب بعض المستقلين كالشيخيْن المحلاوي وحافظ سلامة؛

... نقول بينما كلُّ شيء يسير في اتجاه خلقِ تيارٍ دينيٍّ طلابيٍّ مضادّ للحركة الطلابية اليسارية في الجامعات، كان هناك تنظيمان ينموان ويتشكّلان ويحدِّدان هدفًا أساسيّاً لهما هو الاستيلاءُ على السلطة. أولُ هذيْن التنظيميْن كان «جماعة

التيّار الإسلامي في مصر والحركة الطلاّبية

المسلمين» وهو ما عُرف إعلاميّاً بـ «تنظيم التكفير والهجرة.» وثانيهما «تنظيم الفنيّة العسكرية.»

على أنّ الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، عضوَ مكتب إرشاد جماعة الإخوان المسلمين، وواحدًا من القيادات الطلاّبية البارزة في تلك الفترة، حاول التمييزَ بين الجماعات التي صنعها السادات وتلك التي تشكّلتْ بعيدًا عنه. فقد قال في حوارٍ أجريْتُه معه: «لقد خلط البعضُ بين الجماعة الإسلامية التي نشأتْ تلقائيّاً في الجامعات بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧، وبين جماعة أخرى أنشأها محمد عثمان إسماعيل أُطْلِقَ عليها اسمُ 'شباب الإسلام' وبدأتْ في هندسة القاهرة.» وأضاف أبو الفتوح أنّه من المثير للدهشة أنّ هذه المجموعة قد أنشأتْها الدولةُ بعد أن يئستْ من استخدامنا أو تجنيدنا، وأنّ النظام خَطَّطَ لهذه المجموعة أن تنتشر في كلّ جامعات مصر لتحلّ بديلاً عن تيار الجماعة الإسلامية المرتبط **فكريّاً** بالإخوان في ذلك الوقت (إذْ «لم نكن قد ارتبطْنا تنظيميّاً»). إلاّ أنّها لم تَمْكث أكثر من عامَيْن على الأكثر، واندثرتْ تمامًا.

الجماعة الإسلامية

زحف قطارُ «الجماعة الإسلامية» في طريقه ـ كما يَرْصد اللِّواء حسن أبو باشا في مذكّراته ـ خارج أسوار الجامعات، حيث العديدُ من المدن والقرى في محافظات مصر المختلفة. وكان في ذلك مدعَّمًا بقوة الدولة من جهة، وقوةِ الدعاة وعلماءِ الدين من كافة الاتجاهات من جهة ثانية. واقترنتْ تلك الخطوةُ بنموِّ عددٍ من الظواهر الهامة نشير إلى بعضها في ما يلي:

الظاهرة الأولى: أنّ حركة جماعة «الإخوان» الفكرية والتنظيمية بدأتْ تعود إلى الساحة مرةً ثانيةً، منذ أن رجعتْ من الخارج أعدادٌ غفيرةٌ من كوادرها ممن حقّقوا ثرواتٍ في بلدان المهجر، ليضيفوا إليها قوةً اقتصاديةً طاغية. كما أعادت الجماعة إصدارَ مجلة **الدعوة**، بعد توقُّفٍ دام عشرين عامًا، لتكون منبرًا إعلاميّاً هامّاً للدعوة إلى أفكارها، ثم لتبدأ ثانيةً في تنظيم شُعبَها على مستوى المحافظات.

الظاهرة الثانية: بدايةُ ظهورِ جماعاتٍ جديدةٍ أكثرَ تطرُّفًا تحت مسمَّيات أخرى.

الظاهرة الثالثة: تحوُّلُ الجماعات الإسلامية التي انتشرت في جميع المحافظات إلى مفرخة يتنافس على استقطابِ عناصرِها جميعُ التنظيمات الدينية على الساحة، وفي القلب منهم جماعةُ الإخوان المسلمين. وتطوّرت الأمورُ لكي تصبح تلك الجماعاتُ أداةَ هذه التنظيمات على المستوى القاعدي في الجامعات وخارجها، في القاهرة وباقي المحافظات.

الاستيلاء على اتّحادات الطلاب

عامَ ١٩٧٧ وصل الأمرُ إلى حدّ فوز كوادر «الجماعة الإسلامية» في ثماني جامعات مصرية بإجماليِّ عضويةِ الاتحادات الطلاّبية، وذلك من أصل اثنتيْ عشرة جامعةً، على ما يوضح المهندس أبو العُلا ماضي في مَحْضرِ نقاشٍ أجريْناه معه عامَ ٢٠٠٠. وأضاف ماضي أنّ الجماعة فازت في الجامعات الأربع الأخرى بنصف المقاعد ـ وهذا ما يَعْكس إلى حدٍّ كبيرٍ ميلَ الشباب واندفاعَه نحو ذلك التيار.

كانت مرحلةُ الاتحادات الطلابية أهمَّ مرحلةٍ من مراحل نموّ «الجماعة الإسلامية.» فقد حدث فيها، كما يقول ماضي، انتشارٌ واسعٌ جدّاً، وبدأت الجماعةُ تستخدم أسلوبًا جديدًا في العمل مع الطلبة: كتوزيع الحاسبات الآلية بأسعارٍ رمزيةٍ، وشراءِ وسائل المواصلات الرخيصة مثل الدرّاجات، والضغطِ على الجامعات لإحضار وسائل لنقل الطلاب من خارج الجامعة وتقديم وجبات بسعر رمزي للطلبة. ووصل الأمرُ (كما يؤكّد ماضي أيضًا) إلى حدِّ التدخُّل لإنصاف طالبٍ ظُلِمَ في نتيجةِ امتحانٍ بأن تتمّ إعادةُ التصحيح، لتصبحَ النتيجةُ لصالحه!

كلُّ هذا ساعد في التفافِ شبابِ الطلاّب حول «الجماعة الإسلامية.»

والحال أنّ هذا التنظيم قد ساعدتْه ظروفٌ كثيرةٌ في النموّ، ليست كلُّها من تدبير السادات، فقد استطاعت هذه الجماعاتُ،

عندما أَدْرك السادات الخطورةَ الحقيقيةَ للجماعات الإسلامية، كانت الأمور قد أفلتتْ من يده.

وبذكاء، أن تتوحّد في بعض القضايا القومية مع وجدان الناس في الشارع: ومن ذلك مواقفُها العنيفة ضدّ وجود شاه إيران في مصر، ورفضُها زيارةَ السادات للقدس، ووقوفُها ضدّ اتفاقية السلام مع العدو الصهيوني.

التلمساني يَخْدع السادات ويجنِّد شبابَ «الجماعة الإسلامية»

يقدِّم عبد المنعم أبو الفتوح، في مَحْضر النقاش الذي سبقت الإشارةُ إليه، شهادةً مهمةً حول بدايةِ وكيفيةِ ارتباط شباب «الجماعة الإسلامية» آنذاك بـ «الإخوان.» فهو يشير إلى أنّه لا يستطيع أن يَذْكر تاريخًا محدَّدًا باليوم والساعة لمثل هذا الارتباط التنظيمي، ولكنّه يضيف: «لقد بدأ الارتباطُ بمجموعةٍ قليلةٍ لا تزيد عن أصابع اليد الواحدة كانت تَرْبطهم علاقةُ مودّةٍ بعدد من قادة الإخوان، في مقدِّمتهم الأستاذ عمر التلمساني والدكتور أحمد الملط والأستاذ مصطفى مشهور.» ويضيف أبو الفتوح: «بدأ الأستاذ التلمساني يدعونا للقائه والحديث معه. وظلت هذه اللقاءات مستمرةً حتى أصبحنا، بشكل عمليّ، جزءًا من حركة الجماعة في نهاية عام ١٩٧٤ ومطلع عام ١٩٧٥.»

بالطبع لم تكن الحكومةُ التي أَبرمتْ صفقةً مع الجماعة حول مواجهة التيار اليساري في الجامعات تدري شيئًا عن عمليات التجنيد الشبابية التي يقوم بها قادةُ الإخوان، وفي مقدِّمتهم الرجلُ العاقل عمر التلمساني! وحول المعلومات التي تؤرِّخ لبداية الانخراط الفعلي لكوادر «الجماعة الإسلامية» داخل الأطر التنظيمية لـ «الإخوان» في أواخر عام ١٩٧٩، قال أبو الفتوح: «هذا صحيح إذا كنتَ تتحدّث عن المجاميع. ولكنّ الرؤوس، كما قلت، انضمُّوا في نهايات عام ١٩٧٤، وكنتُ واحدًا منهم ولكنّنا كَتَمْنا هذا الموضوعَ طوال سنواتٍ عدةٍ خشيةَ أن نواجَهَ بعنفٍ من قِبل النظام، الذي فَتَحَ الطريقَ بالفعل أمام قادة الإخوان للعمل، لكنّه لم يكن على استعدادٍ لأن يَكْتشف أنّ أعضاء الجماعة الإسلامية المنتشرة في جميع جامعات مصر، والتي كان السادات قد أعطاها الحريةَ الكاملةَ لتَصْنع توازنًا سياسيًا مع اليساريين داخل الجامعة، قد أصبحوا أعضاء في جماعة الإخوان التي كانت تَعتبر نفسَها بديلاً شرعيًا للسلطة!»

وحين سَأَلْنا أبو الفتوح: «متى تمّ الإعلان عن ذلك؟» أجاب. «لم يتمّ الإعلانُ وإنما تسرّبتْ هذه الأخبارُ في أوائل عام ١٩٧٩. وغضب البعضُ من إخواننا غضبًا شديدًا. ولكنّنا استطعنا إصلاحَ ذاتِ البيْن مع بعضهم، لاسيّما في القاهرة والوجه البحري. غير أنّنا لم نستطع إصلاحَه مع الآخرين في وجه قبلي إلاّ مع عدد قليل، منهم أبو العلا ماضي ومحيي الدين أحمد عيسى وآخرون. وظلت مجموعةُ كرم زهدي وناجح إبراهيم على موقفها الرافض تمامًا لفكرة دخول الإخوان باعتبار أنّ الجماعة، على حدّ تعبيرهم، تَرَكَتْ فريضةَ الجهاد وهادنت السلطة.»

تحوّلات أساسية

يأتي عامُ ١٩٧٩ ليَحْمل عدةَ تحوُّلاتٍ أساسيةٍ داخل التيار الإسلامي الشبابي في مصر.

- **أوّلُها**: قرارُ «الجماعة الإسلامية» توحيدَ صفوفها، واختيارَ أميرٍ عامٍّ لها هو حلمي الجزّار.
- **وثانيها**: بدايةُ معارضة «الجماعة» لتصرُّفات السادات؛ وخاصةً معاهدة الصلح. وقد نَتَجَ عن ذلك اعتقالُ عددٍ كبيرٍ من هذه الجماعة
- **وثالثُها**: محاولات «الإخوان» تجنيدَ أبرز أعضاء هذه «الجماعة،» في محاولة لضمّ هذا التكتُّل البشري الشبابي الضخم إلى صفوف «الإخوان.»
- **ورابعُها**: بحثُ بعض قادة «الجماعة الإسلامية» عن دورٍ خارج الجامعة، خاصةً بعد التخرُّج من الجامعة.
- **وخامسُها**: ميلادُ فكرة العنف داخل بعض أوساط هذه «الجماعة،» ولاسيَّما في المنيا وأسيوط، على يد كرم زهدي وناجح إبراهيم.

وللأمانة، فقد فَطِنَ السادات إلى كلّ هذه التحوُّلات متأخِّرًا، وحاول عن طريق توفيق عويضة أن يؤسِّس جماعةً أخرى

لضرب «الجماعة الإسلامية» داخل الجامعات، لكنّه لم يفلح.

يقول محمود جامع:

«عندما أدرك السادات الخطورةَ الحقيقيةَ لتلك الجماعات، كانت الأمورُ قد أفلتتْ من يده. فالجماعات تعدّدتْ ولجأتْ إلى السرية. وهناك مَنْ يَعْرفون ـ وهم قليلون ـ أنّ السادات حاول في أواخر أيامه اتّباعَ التكتيك ذاته الذي اتّبعه حين أنشأ الجماعاتِ الإسلامية، فأتى بتوفيق عويضة الذي كان قد فُصِلَ بحكم قضائي من أمانة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ وقتَ أن كان الشيخُ الشعراوي وزيرًا للأوقاف ـ ليعيِّنه مستشارًا لرئيس الجمهورية للشؤون الإسلامية، وطَلَبَ منه تكوينَ جماعات لضرب الجماعة الإسلامية. وبدأتْ معسكراتُ أبي بكر الصِّدّيق الصيفية لطلاب الجامعات، والتي كان يُنْفق عليها من ميزانية خاصة تحت إشراف محمد توفيق عويضة. وأخذ الساداتُ يَحْرص على زيارة تلك المعسكرات والالتقاءِ بشبابها، كما أخذ يُغْدق عليهم. إلاّ أنّ تلك الطريقة لم تكن لها أيُّ فائدة.»

وعلى الرغم من أهمية التحوُّلات الخمسة التي حدثتْ عام ١٩٧٩ فإنّ أبرزها كان محاولة «الإخوان» الناجحة ضمّ كوادر «الجماعة» الإسلامية البارزين إليها. وقد بدأ الإخوانُ بذكاء في استقطاب مجموعة من القيادات التي تَحْظى بحبٍّ وتقديرِ مجموعاتٍ كبيرةٍ من أعضاء الجماعة الإسلامية فكان أن انضمّ إلى جماعة الإخوان ـ كما يروي أبو العُلا ماضي ـ بين ١٢ و١٥ قياديّاً من الجماعة على رأسهم: عبد المنعم أبو الفتوح، وعصام العريان، وخيرت الشاطر، وأنور شحاتة، ومحيي الدين أحمد عيسي، وأبو العلا ماضي ولقد ساعد دخولُ هذه العناصر في انضمام أعدادٍ كبيرةٍ أخرى من أعضاء الجماعة الإسلامية إلى «الإخوان.» وهذا ما أثار حفيظةَ بعض كوادر «الجماعة» وعلى رأسهم كرم زهدي، وفؤاد الدواليبي، وأسامة حافظ، وعاصم عبد الماجد، وناجح إبراهيم، وعلي الديناري، وآخرون ساءتهم خيانةُ رفاقهم لهم ودخولُهم في التنظيم الذي طالما رفضوا الانضمامَ إليه تحت دعوى أنّه تنظيمٌ «مسالِمٌ ومماليءٌ للسلطة» وفَقَدَ شرعيّته عندما تخلّى عن «جهازه الخاص» وقَبِلَ العملَ الشرعيَّ ـ من وجهة نظرهم.

هنا يجب التشديد، من منطلق الإنصاف، على أنّ خلافات كبرى وقعتْ بين الفريق الذي انضمّ إلى الإخوان، والفريق الذي ظلّ يَحْمل اسمَ «الجماعة الإسلامية..» مضافًا إليها تعبير «نحو فَهْمٍ سلفي» لتمييزها عن الجماعة الإسلامية التي تَحْمل شعارَ الإخوان (المُصْحف وسطَ السيفيْن المتقاطعيْن). ووصل الخلافُ حدَّ اقتسام المساجد في المحافظات، خاصةً في المنيا وأسيوط، والدخول في معارك دموية بالجنازير والأسلحة البيضاء حول مَنْ يؤُمُّ صلاةَ العيد التي كانت تتمّ عادةً في الخلاء... حتى تم الاتفاُق على أن يؤمَّها أحدُ مشايخ الجمعية الشرعية حسمًا للخلاف.

وأدّى نجاحُ تجربة الجماعات الدينية في الجامعات إلى طرح أعضائها وقياديّيها السؤالَ الأهمّ، والذي بدا منطقيّاً آنذاك: ماذا بعد التخرُّج من الجامعات؟!

الاجتهاد في الإجابة عن السؤال السابق أسفر عن انتشارٍ واسع لجماعة الإخوان المسلمين فى مصر، بَدَاً بالنقابات ولن ينتهيَ بالبرلمان. إلاّ أنّ بداياته الحقيقية كان وسط الحركة الطلاّبية المصرية التي تُعَدُّ أفضلَ تمثيلٍ لحركة الشباب المصري في علاقته بالسياسة.

لقد أردتُ ممّا سبق أن أبيِّن الظروفَ التي تمّ خلالَها اصطناعُ وتقويةُ التيّار الإسلامي وسطَ الشباب المصري، إلى جانب الأسباب الأخرى الموضوعية لانتشار ذلك التيار، بحيث أصبح مركزَ جذبٍ رئيسيٍّ لحركة الشباب المصري في علاقته بالسياسة. حتى إنّ أحدًا لا يستطيع الآنَ إنكارَ قوة اندفاع الشباب إلى تلك البؤرة، وكثافةَ تمثيلِهم هناك مقارنةً بوجودهم في أيٍّ من التيارات والحركات الأخرى.

عبد الرحيم علي

باحث في الإسلام السياسي.